العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

الغيبة وآثارها الوخيمة

لنتعرف على ذنب استصغره الناس

ولكن تداعياته من الكبائر

حسن الهاشمي

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)
هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: الغيبة وآثارها الوخيمة.
تأليف: حسن الهاشمي.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.
التدقيق اللغوي: عمار كريم السلامي.
التصميم: علاء سعيد الأسدي.
الاخراج الطباعي: محمد قاسم النصراوي.
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠ .

جمادى الأولى ١٤٣٦-آذار ٢٠١٥

كلمة لابد منها

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾. (الحجرات: ١٢).

كيف يسمح المغتابون لأنفسهم أن يأكلوا لحوم الناس وهم احياء؟! أيسرهم ذلك؟! ألا يستطيعون ان يتخلوا في موائدهم عن هذه الوصفة المذمومة؟! هل هذا صار الملح الذي بدونه يفقد الطعام لذته؟! ألم يعوا قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله: «**المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه**» ام لم يفهموا معنى قوله صلى الله عليه وآله: «**من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» ألم يعلموا ان طهارة النفس تكون بانشغالها بخالقها وعبادته ومن ثم بكل ما هو طيب وحسن دون الاحقاد والحسد

والفضول الذي يقتل صاحبه في يوم من الايام؟! هل هـذه ابعد الحـدود التي وصـل اليها مستوى تفكيرهم المتدني وذلك بذكر مساوئ الخلق وبقذف التهم على الغير كما تقذف البراكين النار من حممها المتفجرة غيضا وحنقا؟! ام انهم اصبحوا كالسيول العارمة عندما تفيض بها شطآنها لتغرق كل شيء في طريقها دون تمييز! هل فقد أولئك قدرة التشخيص بين الشفافية في التعامل بين الناس والصدق ونبل المشاعر وبراءة الاحاديث حتى انحدروا الى ذنوب لا تغتفر؟! أم اوكلت اليهم مهمة محاسبة الناس والتدخل في شؤونهم لحين وفاتهم؟! الم يمروا ولو لمرة واحـدة على تلك الاقـوال: «طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس» و «من كان بيته من زجاج فلا يرمي الناس بالحجر» و «من كان رأسه من شمع فلا يمشي تحت الشمس» ألم يعلموا ان الاخلاق نعمة

من الله لا يفطن الحاسد اليها؟! ام لم يفقهوا ان الدنيا لا تساوي شيئا وانها اصغر بكثير من ان نضيعها في تفتيت لحوم البشر وما قال فلان وما نقلته فلانة؟! وان قلب الانسان ممكن ان يتوقف عن النبض في أي لحظة وفي أي وقت، فلماذا نملؤه حنقا وغيضا ليعتصر بالحقد بدل الطهر...

الغيبة وهي أن يُذكر المؤمن بعيب في غَيبته، سواء أكان بقصد الانتقاص أم لم يكن، وسواء أكان العيب في بدنه، أم في نسبه، أم في خلقه، أم في فعله، أم في قوله، أم في دينه، أم في دنياه، أم في غير ذلك، مما يكون عيباً مستوراً عن الناس، كما لا فرق بين أن يكون بالقول، أم بالفعل الحاكي عن وجود العيب.

وقد ذمّها الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم وصوّرها في صورة تقشعر منها النفوس والأبـدان كما في الآية أعلاه، وكما في قوله صلى الله عليه وآله : «**إياكم والغيبة فإن الغيبة**

أشد من الزنا، فإن الرجل قد يزني فيتوب إلى الله، فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه». ولا يحسن بالمؤمن أن يستمع إلى غيبة أخيه المؤمن، بل قد يظهر من الروايات عن النبي والأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام أنه: يجب على سامع الغيبة أن ينصر المغتاب ويرد عنه، وأنه إذا لم يردّ، خذله الله تعالى في الدنيا والآخرة، وأنه كان عليه كوزر من اغتاب، هذه خلاصة القول في الغيبة وإليك عزيزي القارئ التفاصيل في هذا البحث المهم عبر العناوين التالية:

ماذا تعرف عن الغيبة والبهتان والنميمة

الغيبة: ما يقال في غياب الشخص، غاية الأمر أنَّه بقوله هذا يكشف عيباً من عيوب الناس، سواء كان عيباً جسدياً أو أخلاقياً، أو في الأعمال أو في المقال، بل حتى في الأمور المتعلقة به كاللباس والبيت والزوج والأبناء وما إلى ذلك.

فبناء على هذا ما يقال عن الصفات الظاهرة للشخص الآخر لا يُعد اغتياباً، إلا أن يراد منه الذم والعيب فهو في هذه الصورة يعد غيبة ومن المحرمات، كما لو قيل في مقام الذم أن فلاناً أعمى أو أعور أو قصير القامة وما إلى ذلك.

فيتضح من هذا أنَّ ذكر العيوب الخفية بأي قصد كان يعد غيبة، وذكر العيوب الظاهرة إذا كان بقصد الذم أو كان فيه أذية فهو غيبة سواء أدخلناه في مفهوم الغيبة أم لا.

كلُّ هذا في ما لو كانت هذه العيوب في الطرف الآخر واقعية، أما إذا لم تكن صحيحة أصلاً فتدخل تحت عنوان البهتان، وإثمه أشد من الغيبة بمراتب.

أما النميمة: فهو أن ينقل شخص كلاماً سمعه من شخص واقعاً أو اخترعه من نفسه إلى شخص آخر بقصد الفتنة بين شخصين.

فالغيبة والبهتان والنميمة إذن من الأمور التي تهدم شخصية المسلم، وبما أن محافظة الاسلام على كيان الإنسان لا تقل أهمية عن محافظته على دمه وعرضه وماله وأرضه ، فلكي يُحَصِّن الإنسان من جميع الآفات المادية والمعنوية تراه قد ضرب عليه طوقا يحميه ويحافظ على حقوقه الذاتية والشخصية، وذلك بتحريم القتل والزنا والسرقة والخيانة كما أنه شدد في حرمة الغيبة والبهتان والنميمة، وهكذا فأنه وبهذه التحريمات ضَمنَ أن يعيش حياة حرة

كريمة خالية من الانتهاكات التي قد تخدش جسمه أو روحه وهي الضمان أيضا في دفعه لكي يمارس دوره في الحياة بأتم وجه دون أن يعتدي على أحد أو يعتدى عليه، وحتى إذا ما حصل أي اختراق من قبل البعض وقام بخرم هذه القاعدة فأن لها تبعات قانونية وجزائية عقابية تنتظره في الدنيا قبل الآخرة لكي تعيد نصاب الحق إلى أهله دون غمط لحقوق أي فرد من أفراد المجتمع الانساني.

ومن هنا نلاحظ أن الاسلام يكاد أن يرفع من شأن الانسان وكرامته حتى أنه يصل إلى مراتب تغبطه إزاءها كل قوانين الكون الوضعية، وطالما وصل إلى هذه المراتب العلية والمقامات الرفيعة لما يمتلك من عقل وإرادة وكرامة فضله الله تعالى بها على سائر المخلوقات، وأراد أن يحفظ هذه الكرامة من الانتهاكات فشرع حرمة التعدي والخدش بكل

ما من شأنه أن يمسها ويخدشها وينال منها بكلمة أو بفعل أو بحركة أو بإيحاء، فإن حدود الكرامة التي هي أغلى شيء في الوجود محفوظة ومستورة بالتشريعات الإلهية، إلا اللهم الإنسان نفسه إذا ما أراد أن يسقطها فذلك خروج عن المألوف وما يليق بالإنسان كما أراد له الشرع المبين.

التحذير من الغيبة والبهتان والنميمة

المستقرئ لآيات القرآن الكريم والروايات الشريفة يلاحظ أنَّ الغيبة والنميمة من الكبائر، فقد أوعد الله عليهما بالنار فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾(النور:١٩).

ويقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ**

لَحمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾(الحجرات:١٢).

في هذه الآية الشريفة احتمالان: أحدهما: أنَّها في مقام بيان كيفية العذاب الأخروي للمغتاب، حيث تتجسّم الغيبة في الآخرة بصورة أكل ميتة الشخص المستغاب، والشاهد على هذا الاحتمال رواية عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه نظر في النار ليلة الإسراء فإذا قوم يأكلون الجيف فقال «**يا جبرائيل من هؤلاء**»؟ قال: «**هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس**».

والاحتمال الآخر: هو أنَّ المراد أنَّ الغيبة هي بمنزلة أكل لحم المستغاب ميتاً من ناحية الحكم، فكما أنَّ أكل الميتة من الذنوب الكبيرة فكذلك الغيبة.

وقال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾.(الهمزة:١). وهذا وعيد من الله سبحانه لكل مغتاب مشّاء بالنميمة مفرِّق بين الأحبة، وأما "وَيْلٌ": فهو اسم لدركة من

دركات جهنم، أو اسم لواد فيها، وتستعمل للتعبير عن شدّة العذاب.

ويقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾.(الرعد:٢٥).

فالمستغيب والنمّام يقطعون ما أمر الله بوصله، ويفسدون في الأرض، إذ أنه بدل أن يوجد العلاقة والألفة والمحبة بين المسلمين ويقوّي وحدتهم، يوجد الفرقة والنفرة والعداوة بينهم.

ويقول تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾. (البقرة:١٩١). وظاهراً أنَّ الشخص النمَّام والمستغيب يشعلان نار الفتنة.

أما الروايات فكثيرة منها: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا**

المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته». هذه هي سنة الله تعالى في الكون إن الله هو الستار يحب من عباده الستر والإغضاء، فالأولى بالإنسان أن يصلح نفسه ويحجم عن تتبع عيوب وعورات الآخرين، ولا يخلو أي إنسان من الفجوات والهفوات والشطحات وإن فيها الكفاية للانشغال بإصلاحها وردم تراكماتها المريبة القاتلة، أما الخوض في نبش عيوب الآخرين والاسترسال في فضح ممارساتهم، فإن ذلك يؤدي إلى قلب الطاولة على رأس من يجلس إزاءها والمتضرر في ذلك الجميع، لأن التهجم والتهكم والتسقيط والتشهير سيحل محل التآلف والتحابب والإشادة والتقدير، وهو ايذان بسقوط المجتمع في وحل الخيبة والخسران.

وعنه صلى الله عليه وآله: «**من مشى في غيبة أخيه وكشف عورته**

كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم» بناءً على هذا فإنَّ الغيبة والبهتان والنميمة من الذنوب الكبيرة، التي جاء الوعيد عليها، فلا ينبغي استصغار هذه الذنوب، وهذه هي الطامة الكبرى والرزية العظمى أن يستصغر الانسان ذنبا هو في الواقع يجره إلى جهنم جرا! وحينما تسأل المتهتك لماذا تستغيب وتتطاول على الآخرين، يجيبك ماذا عملت هل قمت بقتله أو اعتديت على عرضه أو نهبت أمواله؟! ولا يدري أن النهش بلحمه غائبا لا يقل ضررا إن لم يفق الذنوب الأخرى من القتل والزنا والسرقة، لأن في الأولى تعد على الكرامة وسائر الذنوب وإن كانت قبيحة فإنها لا تعدو كونها انتهاكا وجرما حيال إنسان وما ينبغي أن يتمتع به من حق الحياة وصيانة العرض والمال، فالكرامة تبقى هي المصون الأول في وجود الإنسان على الرغم من أهمية الحقوق الأخرى فإنها الضامنة

لسيادة الكرامة لكي تتحقق الإنسانية بمفهومها الأوسع في الحيوانية الناطقة، وفي هذا السياق تهجم أحد الحمقى على المرحوم الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري تغمده الله وهو يقصد اهانته: ما أسهل أن يصبح الإنسان عالما، ولكن ما أصعب أن يصبح آدميا، فقال له الشيخ وهو يريد تصحيح كلامه: أن يصبح الإنسان عالما فهذا صعب جدا، ولكن أن يصبح آدميا فهذا أصعب بكثير!.

فاعلم أيها المسترسل في نهش لحوم الآخرين بغيبة وبهتان وتطاول، إن مجالس البطالين التي تتحول إلى مآتم في نهاية المطاف ما هي إلا حطب جهنم يحتطبها المغتاب والسامعون له على ظهورهم وتستعر بهم نار ذات لهب في يوم لا ينفع فيها معذرة ولا ندم، واعلم كذلك أن كرامة الآخر لا تقل عن كرامتك وحرمته لا تقل عن حرمتك وشخصيته لا

تقل عن شخصيتك، ولكي تصون كرامتك عليك بصيانة كرامة الآخرين، فإن السمعة وماء الوجه أغلى ما يمتلكه الإنسان في هذه الحياة، فلا ترقْ ماء وجه الآخرين لكي لا يراق ماء وجهك، والدنيا فانية على كل حال، وإن فاتك جزاء التطاول على الآخرين والانتقاص منهم في الحياة الدنيا لجاه أو لمنصب أو لعشيرة أو لمال، فإن الله تعالى لك بالمرصاد فإنه يريق ماء وجهك أمام الأشهاد يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم، فتذكر ذلك اليوم وما يصاحبه من خزي وعار وخيبة واذلال قبل أن تقدم على أي عمل أو قول فيه منقصة وتطاول وسخرية للآخر النوعي الذي تكون حقوقه المعنوية والمادية محفوظة كما أن حقوقك محفوظة هي الأخرى، لا فرق بين إنسان وآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح، وأنهما يهتفان بك وبغيرك: (ولا يغتب بعضكم بعضا).

يا لها من قوانين رائعة فائقة، ويا لها من تشريعات جميلة زاهية، قد يقول قائل: كيف إنها رائعة وفيها من الغلظة والشدة والوعيد والتهديد لمن اقترفها ولم يلتزم بالردع والانزجار عنها؟! في معرض الاجابة عن هكذا تساؤل نقول إن جماليتها تكمن في قوة الردع فيها، فهي الضمان بتأديتها والالتزام بها، والمشرع يعلم أن «من أمن العقاب أساء الأدب» وما من حيلة للحفاظ على الألفة والمحبة والصداقة والمودة بين المؤمنين وكذلك الحفاظ على كرامة وعزة وشموخ وسؤدد المؤمن، إلا بهذه التشريعات الصارمة لكي يرتدع كل من تسول له نفسه عن ارتكابها أو التفكير حتى باقترافها.

علاوة على كل ما ذكر من عقوبات فإن لمثل هكذا ذنوب لها آثار وضعية دنيوية لمن اقترفها من باب «من طرق باب الناس طرقت بابه» فتبقى سمعة

المتهتك بسمعة وأعراض الآخرين في مهب الرياح، ولا يزال يعيش محتقرا بين أقرانه لا شخصية ولا كرامة ولا عزة لديه في أوساطهم، صحيح إنهم قد يستمعون إليه ويجعلون أحاديث التهتك فاكهة لهم في مجالسهم الخاوية! بيد أنهم لا يحترمون شخصه ولا يكنون له أي اعتبار؛ لأنهم يعلمون أكثر من غيرهم أن المتهتك للآخرين يقوم بنهش لحومهم أيضا بغيابهم! ومثل هكذا أشخاص يفقدون الثقة حتى من أقرب المقربين إليهم، خلافا للمؤمن الملتزم بالحفاظ على كرامة الآخرين فهو لا يذكرهم إلا بخير، وإذا ما اغتيب أحد منهم أمامه يقوم بزجرهم أو الخروج من تلك المجالس إن لم ينفع النصح والزجر والإكراه.

أغلى شيء في الوجود هو الإنسان، ولذلك خلق الله تعالى كل المخلوقات لأجله، وخلقه لأجل العبادة والامتثال لأوامره تعالى لما فيها عزة وشموخ الانسان، ولا يمكن الحفاظ على الكرامة الانسانية، ولا يمكن التستر على حرمته إلا بالتحريم والغلظة لكل من تسول له نفسه بالتطاول على الآخرين غيبة ونميمة وبهتانا قد يخدش تلك الحرمة وينتهك تلك الكرامة العزيزة على الله تعالى ورسوله والمؤمنين، ولهذا فإن هذا التحريم له من الحكم والدوافع النبيلة التي تعزز بشكل أو بآخر العيش بثقة عالية متبادلة بين الأفراد ما يؤدي إلى تماسك المجتمع الإنساني على أساس المحبة والاحترام وحفظ الحقوق، ويمكن الاشارة إلى بعض تلك الحِكَم بالنقاط التالية:

١. بما أنَّ الإنسان مخلوق اجتماعي، فالمجتمع

البشري الذي يعيش فيه له حرمة يجب أن لا تقل عن حرمته الشخصية، وطهارة كل منهما تساعد في طهارة الآخر، وقبح كل منهما يسري إلى صاحبه، وبموجب هذا المبدأ كافح الإسلام بشدة كل عمل ينشر السموم في المجتمع أو يدفعه نحو الهاوية والانحطاط، لذا أوجب الإسلام ستر العيوب، والسبب في ذلك هو الحيلولة دون انتشار الذنوب في المجتمع، واكتسابها طابع العمومية والشمول.

٢. إنَّ رأس مال الإنسان المهم في حياته ماء وجهه وحيثيته، وأي شيء يهدده فكأنما يهدد حياته بالخطر، إنَّ واحدة من حِكَم تحريم الغيبة أن لا يتعرض هذا الاعتبار العظيم للأشخاص ورأس المال آنف الذكر لخطر التمزق والتلوث، وأن لا تهتك حرمة الأشخاص ولا تلوّث حيثياتهم، وهذا مطلب مهم تلقاه الإسلام باهتمام بالغ.

٣. الغيبة والنميمة تولد النظرة السيئة وتضعف العلاقات الاجتماعية وتوهنها وتتلف رأس مال الاعتماد وتزلزل قواعد التعاون الاجتماعي، ونعرف أنَّ الإسلام أولى أهمية بالغة من أجل الوحدة والانسجام والتضامن بين أفراد المجتمع، فكل أمر يقوي هذه الوحدة فهو محل قبول الإسلام وتقديره، وما يؤدي إلى الاخلال بالأواصر الاجتماعية فهو مرفوض، والاغتياب والبهتان والنميمة هو أحد عوامل الوهن والضعف.

٤. ثم بعد هذا كله فإنَّ الاغتياب وصاحبيه ينثرون في القلوب بذور الحقد والعداوة وربما أدّى أحياناً إلى الفتنة والاقتتال وسفك الدماء.

٥. أهم ركيزة في العلاقات الاجتماعية هي الثقة المتبادلة بين الإخوان، فالغيبة والنميمة والبهتان والتعرض لكرامة الآخرين تقوض بنيان الثقة من

الأساس وتجعله كالعهن المنفوش، فالحرمة والغلظة في عقاب المنتهكين لحقوق الإخوان إنما هو لصيانة الثقة وليس للتشفي والانتقام.

٦. ان من دوافع الغيبة هو الانتقاص والاستخفاف من الآخرين ولاسيما الضعفاء الذين لا حيلة لهم ولا بيان، إما لحقد أو لحسد أو لتلطيف الأجواء ولكن على حساب كرامة الآخر ، وهذا الانتقاص قد يكون موجها لولي من أولياء الله تعالى، لذلك حذرنا الشرع من الاستهزاء بالآخرين لكي لا يصاب المستهزئ بغضب الله وانتقامه في الدنيا قبل الآخرة.

٧. الاسلام دين العدل والمساواة فحيثية المسلم محفوظة بغض النظر عن جنسه ولونه وعشيرته وقومه، وهذه الاعتبارات ليس لها أثر في مسألة الجزاء اثباتا ونفيا، فحرمة الغيبة تشمل الحاكم والمحكوم

على حد سواء، فالتفاضل بالقيم لا بانتقائية الجزاء والعقوبة.

٨. لعل من أهم الدواعي في حرمة الغيبة هي الحفاظ على كرامة الانسان وقيمومته وخلافته في الأرض، ليبقى هو السيد الذي سخر الله تعالى له كل الموجودات ليرتقي سلم الكمال دون منغصات تمهيدا لملاقاة الله تعالى بقلب سليم لا رين عليه ولا غشاوة تحجبه عن لقاء الحبيب.

بواعث الغيبة ونتائجها وعلاجها وموارد الاستثناء

إنَّ الغيبة كسائر الصفات الذميمة تتحول تدريجاً إلى مرض نفسي، بحيث يتلذذ المغتاب من فعله ويحس بالارتياح والرضا عندما يريق ماء وجه غيره، وبواعث هذه الآفة الفتاكة التي ينبغي الحذر منها والفرار من تداعياتها الخطيرة هي: الغضب أو الحقد أو الحسد أو السخرية والاستهزاء أو اللعب والهزل أو ارادة الافتخار والمباهاة أو تبرئة النفس والصاق التهم بالآخرين أو حتى لا يملّوه اصدقاؤه فيجاريهم بغيبة الآخرين أو أن يذكر اسم غيره بهدف الترحم عليه والدعاء له ولكنه يفضحه في عمل ما أو بسبب الغضب من ظهور المنكر منه ولكنه يفضحه بذكر اسمه والمفروض أن يذهب إليه ويحاول ان ينصحه.

ومن نتائج الغيبة انتشار البغض والكره والحقد

والعداوة بين أفراد المجتمع وعدم ثقة البعض بالبعض الآخر، وكذلك انتشار الخلافات وكشف العيوب وغير ذلك من المفاسد الكثيرة.

وعلاجها أن يعلم الانسان أنه حينما يغتاب غيره فكأنه يأكل لحمه وهو ميت كما اسلفنا، وليعلم أنه كما يكره هو ان يتكلم عنه الناس بما يكره كذلك يجب عليه أن لا يتكلم عليهم بما يكرهونه، وليحاول أن يكون لسانه لسان نصح وارشاد وإصلاح وليعلم أن ثلث عذاب القبر من الغيبة، وإن كان في مجلس أو في مكان يذكر فيه الناس بما يكرهونه فليحاول أن يغير الحديث أو يذكرهم بعذاب الله أو ليخرج من المجلس.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كفارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته**».

وعنه صلى الله عليه وآله: «**من رد عن أخيه غيبة سمعها في مجلس رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة، فإن لم**

يرد عنه وأعجبه كان عليه كوزر من اغتاب».

ومن هنا ينبغي على المغتاب والنّمام أن يسعى إلى علاج البواعث الداخلية للاغتياب التي تكمن في أعماق روحه وتحضه على هذا الذنب، من قبيل البخل والحسد والحقد والعداوة والاستعلاء والأنانية، وعليه أن يطهِّر نفسه عن طريق بناء الشخصية والتفكير في العواقب السيئة لهذه الصفات الذميمة وما ينتج عنها من نتائج مشؤومة، ويغسل قلبه عن طريق الرياضة النفسية، ليسيطر على لسانه ولا يتلوث بالغيبة وأمثالها.

ما ينبغي ذكره في شأن الغيبة، أنَّ قانون الغيبة له استثناءات، من جملتها أنَّه يتفق أحياناً في مقام الاستشارة مثلاً لانتخاب الـزوج أو الشريك في الكسب وما إلى ذلك أن يسأل إنسان إنساناً آخر، فالأمانة في المشورة التي هي قانون إسلامي مسلّم

به توجب أن تبَيَّن العيوب إن وجدت في الشخص الآخر لئلا يتورّط المسلم في مشكلة، فمثل هذا الاغتياب بمثل هذا القصد لا يكون حراماً.

وكذلك في الموارد الأخرى التي فيها أهداف مهمة كهدف المشورة في العمل أو لإحقاق الحق أو التظلم وما إلى ذلك، ومن يجوز غيبته الحاكم الظالم والفاسق المعلن الفسق، والهدف من ذلك هو تحذير الناس منهم حتى لا يفعلوا فعلهم، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ثلاثة ليس عليهم غيبة: من جهر بفسقه، ومن جار في حكمه، ومن خالف قوله فعله**».

وبالطبع فإن المتجاهر بالفسق خارج عن موضوع الغيبة، ولو ذكر اسمه في غيابه فلا إثم على مغتابه، إلّا أنَّه ينبغي الالتفات إلى أنَّ هذا الحكم خاص بالذنب الذي يتجاهر به فحسب.

الفاسق والجائر والمنافق فإنهم أخرجوا بأفعالهم

المنكرة ذواتهم من خانة الحرمة والإكرام، وتظهر الدقة في أحكام الاسلام المتعالية من أن الحرمة تسقط في الفاسق خاصة بالذنب الذي يتجاهر به من باب ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤) إذ من الممكن أن تكون له بعض الخصال الحميدة، فمن المفترض أن تحفظ كرامته بحفظها وسترها وربما الإشادة بها، بيد أن الجائر والمنافق لا حرمة له البتة لكي تحفظ، لما يشكله من خطر داهم على العباد والبلاد، وأفضل طريقة لعلاج حالتي الجور والنفاق هي فضحهما واظهار مثالبهما ليكونا عبرة لمن اعتبر إضافة إلى أن هذه العقوبة قد تكون سببا في ردعهما عن الانغماس في تلك الرذائل المشينة تمهيدا لتنظيف المجتمع من كل شين وعيب وريب.

استماع الغيبة والغيبة الخفية

إنَّ الغيبة ليست حراماً فحسب، بل الاستماع

إليها حرام أيضاً، والحضور في مجلس الاغتياب حرام، بل يجب -طبقاً لبعض الروايات- أن يرد على المغتاب، يعني أن يدافع عن أخيه الذي يراد إراقة ماء وجهه.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**السامع للغيبة أحد المغتابين**».

وعنه صلى الله عليه وآله: «**من اغتيب عنده أخوه المؤمن وهو يستطيع نصره فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن خذله وهو يستطيع نصره خذله الله في الدنيا والآخرة**».

يقول الشهيد الثاني في الغيبة الخفية: ومن أضر أنواع الغيبة، غيبة المتّسمين بالفهم والعلم المرائين فإنهم يُظهرون من أنفسهم التعفف عن الغيبة ولكنهم لا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتي الرياء والغيبة، وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان

فيقول: الحمد لله الذي لم يبتلنا بحب الرياسة أو حب الدنيا أو بالتكيف بالكيفية الفلانية، أو يقول: نعوذ بالله من قلّة الحياء أو من سوء التوفيق أو نسأل الله أن يعصمنا من كذا، ونحو ذلك فإنه يغتابه بلفظ الدعاء وسمتِ أهل الصلاح.

وقد يكون قصده أن يذكر عيبه بضرب من الكلام المشتمل على الغيبة والرياء ودعوى الخلاص من الرذائل، كأن يقول: كان يقصِّر في العبادات، ولكن قد اعتراه فتور وابتلى بما يبتلى به كلّنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه بالذم، ومقصوده أن يذم غيره، وأن يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم أنفسهم فيكون مغتاباً مرائياً مزكيّاً نفسه، فيجمع بين ثلاث فواحش، وهو يظن بجهله أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة! هكذا يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعلم والعمل من غير أن يتقنوا الطريق

فيتبعهم ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم.

ومن ذلك: أن يذكر ذاكر عيب إنسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول: سبحان الله ما أعجب هـذا؟! حتى يُصغي الغافل إلى المغتاب ويعلم ما يقوله، فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة في تحقيق خبثه وباطله وهو يمنّ على الله بذكره جهلاً وغروراً.

ومن ذلك: أن يقول جرى من فلان كذا وابتلي بكذا، بل يقول جرى لصاحبنا أو صديقنا كذا، تاب الله عليه وعلينا، يظهر الدعاء له والتألم والصداقة والصحبة، والله مطلع على خبث سريرته وفساد ضميره، وهو بجهله لا يدري أنَّه تعرَّض لمقت أعظم مما يتعرّض له الجهّال إذا جاهروا بالغيبة.

ومن أقسامها الخفية: الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط

المغتاب في الغيبة، فكأنه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق فيقول: عجبت مما ذكرته؟! ما كنت أعلم بذلك إلى الآن؟! ما كنت أعرف من فلان ذلك؟! يريد بذلك تصديق المغتاب، واستدعاء الزيادة منه باللطف والتصديق، بل الاصغاء إليها، بل السكوت عند سماعها.

العالم الرباني هو بعيد كل البعد عن الغيبة الخفية فضلا عن الغيبة الجهرية؛ لأن الإيمان بالله تعالى يحجبه عن المعاصي والذنوب وانتهاك حرمة المؤمنين، فتراه متفرغا لعبادة الله تعالى وخدمة العباد والبلاد لما فيه الخير والصلاح، وعليه فإن وقته ثمين يصرفه حيث يريد الله لا حيث يريد الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، لا فراغ لديه البتة لكي يقضيه في هذه الترهات التي هي عادة ما يلجأ إليها العالم الشيطاني، يحاول من خلالها أن يظهر نفسه

بمظهر الإيمان المحب للناس المشفق عليهم، ولكن ومن خلال تعليقاته واسئلته واستفهاماته وتوجيهاته يحاول أن يخدع السذج من الناس بأنه من أهل الإيمان والتقوى والصلاح بينما هو من أهل النفاق والخداع والرياء، يتظاهر بأنه يتألم بما يراه ويسمعه من شطط أو زيغ أو انحراف من سائر الناس الذين تربطهم به علاقة أخوية! ولكن ما يصدر عنه وإن كان ظاهره أنيقاً بيد أن باطنه سقيم، يقطر سما زعافا من الغيبة والحقد والرياء والتكبر والاستعلاء! ولو كان مؤمنا حقا لألجم المغتاب ولسحب البساط من تحت أقدام السامعين وسجّل موقفا جريئا واضحا يدين من خلاله الخوض في سمعة المؤمنين والنهش في لحومهم، ولذهب إلى الذي يغتابونه ماطرا إياه بنصائحه على انفراد وهو أجدى له وللمغتاب وللذي وقعت عليه الغيبة نفعا ونصحا وعاقبة ومآلا.

«**السامع للغيبة أحد المغتابين**» في هذا المقطع من الحديث الشريف يؤكد على أن السامع شريك القائل في الحرمة والإثم، يقتسمانه كما اقتسما ارتكابه وانتهاك حرمة المؤمن من خلاله، فالقائل ذو لسان يلتهم به لحوم الآخرين ويلوث كرامتهم وشأنهم ومقامهم بين الناس، والسامع تقبل تداعيات الذنب عن ايثار وسوء اختيار فهو يشاطر القائل بما يحتطب من ذنوب، بل هما يخففان عن كاهل المستغاب بما يحمل من خطايا بفعلهما الشنيع هذا، فالمغتاب بالظاهر واحد ولكن في الواقع هما اثنان يحملان الوزر نفسه وتلحقهما التداعيات نفسها من دون ان تخفف عن السامع خاصة بذريعة أنه لم يباشر بالجرم؛ لأن الاثنين معا رضيا بالقول وقصداه وآثرا عليه لا على وجه الاتفاق ولكن على القدرة على الانكار بالأخص من السامع، وعند وقوع الإثم من القائل وعدم الإنكار

من السامع فإنه وبطبيعة الحال يكون أحد المغتابين في هذا الإثم وتداعياته الخطيرة.

ولا يزال الشرع المقدس يؤكد على أن الكرامة الانسانية مهابة ومصونة ومحترمة في الإسلام أشد الصون والمهابة والاحترام؛ لأنه يطالب من الجميع لجم المنكر وهو في مهده لئلا يتجرأ أحد من التطاول على الآخرين ومس كرامتهم بسوء، وبهذا كانت النصرة الإلهية حليفة من نصر أخاه المؤمن بالدفاع والذب عنه، والخذلان الإلهي ملازم لمن خذل أخاه المؤمن بترك الدفاع عنه وربما التشفي بذكر معايبه ونواقصه، وطالما أكدت النصوص الشرعية على أن الحق أحق أن يتبع من الباطل، وإن لكل منهما تداعياتهما التي تصيب المباشر ايجابا وسلبا تبعا لما كسبت يداه في هذه الدنيا الدنية.

الغيبة وآثارها على المجتمع

لا شيء أهم من أن يعيش الإنسان في مجتمعه آمناً على نفسه وماله وعرضه، ذلك لأن الإنسان شخصٌ وشخصية، وإذا كانت سلامته الجسمية والمالية هي قوام شخصه ووجوده المادي، فإن سلامته المعنوية وحفظ سمعته هي قوام شخصيته المعنوية والاجتماعية، لذلك فإن الإسلام بقدر ما يشدد على حرمة الإنسان فيما يرتبط بجسمه وماله فإنه أكثر تشدداً بالنسبة لما يرتبط بحرمة مكانته وجاهه وسمعته.

إن الإنسان إذا كان يعيش في مجتمع يواجه فيه اعتداء جسمياً فإنه بالتأكيد لا يحس بالأمن والاستقرار، ولو تعرض إلى اعتداء على مكاسبه المادية كنهب منزله أو سلب أرضه أو سرقة أمواله، فلن يحس بالأمن والاستقرار، وكذلك الحال

لو انتهكت كرامته وسمعته، بمعنى انه يتعرض للتجريح والتشهير فهذا أيضاً لا يحس بالأمن في ذلك المجتمع، ومجتمعات كهذه لا تجذب من يعيش فيها ولا ترغبهم في حبها والانتماء إليها.

المجتمعات الغربية بالرغم من أن الفلسفة السائدة فيها هي فلسفة مادية لكنها وضعت قوانين تحفظ حقوق الناس في بعديها المادي والمعنوي، فكما أن الانسان لا يستطيع أن يعتدي على مال الآخر لأنه سيكون تحت طائلة القانون، كذلك فإنه لا يستطيع أن يعتدي على سمعة الآخر لأنه سوف يكون تحت طائلة القانون أيضاً، ولذلك عندما ترفع دعوى على شخص ما، ويثبت بعدها أن الحق معه، فإنه يقوم برفع دعوى يطالب فيها بالتعويض وإعادة الاعتبار عن الأذى المعنوي الذي تعرض له.

تؤكد تعاليم الإسلام على هذا الجانب بصورة

كبيرة، فاحترام أموال الناس وممتلكاتهم وأعراضهم وسمعتهم على حد سواء، تقول الآية الكريمة ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾ هذا نهي صريح عن الاعتداء على شخصية الآخر بالتحدث عنه بما يسوء إليه ويشوه سمعته وهو ما يسمى بالغيبة.

من ضروريات الدين كما يتفق على ذلك جميع المسلمين القول بأنها عمل محرم، وأنها من كبائر الذنوب والتي ورد التشديد على تركها، وتوعد من يقوم بها ويفعلها بالنار والعذاب الشديد، فالآية الكريمة تؤكد ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾ أي لا يمارس بعضكم هذا العدوان على الآخر، فالغيبة على شخصية الآخر النوعي في المجتمع المسلم، بل يمكن القول في المجتمع الإنساني بشكل عام، ثم تأتي الآية الكريمة بمثال يوضح بشاعة الغيبة، وهي تشبيه من يغتاب غيره بأكل لحم أخيه ميتاً، أرأيت الإنسان الذي

يجلس أمام جنازة أخيه ثم يتناول منه لحماً ويأكله! هل تحس وتشعر ببشاعة هذا المنظر؟ هكذا هو حال من يذكر غيره بسوء في ظهر الغيب، والصورة واضحة لأن أكل لحم الميت هو اعتداء على من لا يقدر الدفاع عن نفسه، وذكر الغير بسوء في غير محضرهم حيث لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، يشبه ذلك تماماً.

فالغيبة – باعتبار أنها مأخوذة من الغياب – هي التحدث عن عيوب الشخص في غيابه، وهنا لن يستطيع الدفاع عن نفسه، أي كأنها حالة انتهاز غياب الغير بالتحدث عنه بما يكره دون أن يدافع عن نفسه، كانتهاز جسد الميت وأكله وهو لا يستطيع المقاومة.

أنت تستطيع أن تأمن جانب الحيوان المفترس وأن تكسب ألفته باللين والمحبة، وإن أخفقت وغضب الوحش عليك فهو لا يمزق منك غير جسدك، أما غالبية الناس فيحسبون اللين والمحبة

منك ضعفا، وقد يتحاشون إلحاق أقل ضرر بجسدك الفاني خوفا من قوانين سنّوها، في حين يستحلون جعل روحك الأبدي مشاعا للشارد والوارد، ولا قانون يصدهم ولا محكمة! هكذا نحن في المجتمعات الاسلامية التي لا وجود لمحكمة الروح فيها مثلما محكمة الجسم والجسد، ربما لكثرة المشاكل والمصاعب والمتاعب التي تواجه المسلم في مجتمعاتنا، فإن المحاكم مشغولة في فك الاختناقات الجسدية ولم تصل النوبة بعد لفك الاختناقات الروحية، وإذا ما أحجم الفرد عن ارتكاب الذنب الروحي، فهو الايمان والاعتقاد بالحساب العسير في الآخرة والأولى هو الذي يردع من ارتدع وليست المحاكم التي مهما بلغت من الدقة فإنها لن تصل إلى دقة محاكم الضمير التي تحصي وتراقب كل شاردة وواردة، وطالما تكون منقادة إلى بارئها وهي تعلم علم اليقين أن الناقد بصير.

ومادام المجتمع لم يلتزم بأوامر الشرع من حرمة الغيبة والنهش في لحوم الآخرين فهو في عيشة ليست براضية ولا مرضية، بل أنها عيشة ملؤها السأم والحقد والحسد والعدوان، وبما أن الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله تعالى عليه، فإنها عبارة عن نشر غسيل الأشخاص على الأشهاد دون وازع من دين ولا ضمير، والذي يؤدي هذا الدور الخطير في المجتمع إنما هدفه الفضح والاساءة والاستهزاء بحقوق الآخرين وإلا إذا كان مخلصا في نواياه لذهب إلى صاحب الشأن ونصحه على انفراد من دون فضحه واراقة ماء وجهه أمام نظرائه من الخلق، فالله تعالى الخالق المتعال هو الساتر الغفار لعباده المسيئين يقبل التوبة ويتغاضى عن الذنب ويحفظ ماء الوجه برحمته ولطفه بالعباد، فكيف بالعبد المتهتك تسول له نفسه باللعب واللهو في سمعة وكرامة الآخر من دون رادع

يكفه عن ارتكاب عمله الشنيع هذا؟! ولكي ينتشل الله تعالى سمعة المجتمع الإنساني من الحضيض إلى الرفعة والتسامي والكمال قام بالحفاظ على سمعة اللبنات في ذلك المجتمع لكي يكون البناء صحيحا قائما على أسس قوية ومتينة لا تزعزعه العواصف ولا تنال منه السيول ولا حتى الزلازل والصواعق والنوازل، ولا يكون البناء شامخا إلا بعد استئصال الأملاح والمواد الضارة منه وكذلك المجتمع الآمن لا يمكن الحفاظ عليه إلا بعد استئصال أولئك الذين يقومون بتهديم كل ما من شأنه أن يقيم أود المجتمع وسلامته من كل عيب وشين، والذين قال الله تعالى عنهم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾. (النور: ١٩).

الآثار السيئة للغيبة

يعرف العلماء والفقهاء الغيبة بتعريفات عديدة لعل أرجحها: ذكر عيوب مستورة لإنسان غائب، أحياناً يتجاهر الإنسان ببعض الصفات السيئة فذكره بها لا يعد غيبة، لأنه لم يستر عيبه، وأحياناً يكون للإنسان عيب وبالرغم من ممارسته له، إلا أنه لا يحب أن يظهره، ولا يحب أن يذكره أحد به، فإذا ما أعبته بما يكره في ظهر الغيب فقد اغتبته، وهذا لا يجوز لما يترتب على ذلك من أمور:

ـ إن هذا الأمر يعد عدواناً على سمعة وشخصية المذكور.

ـ تعوّد الإنسان على هذا الأمر، إذا ذكرت شخصاً ما بسوء، ستذكر آخر، وهكذا سيكون الأمر مستساغاً عندك، وكما في تشبيه الآية الكريمة، لو أكلت لحم ميت مرة، سيكون أكله مستساغاً في

غيرهن من المرات، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**لا تعود نفسك على الغيبة فإن معتادها عظيم الجرم**».

ـ تلويث أجواء المجتمع بما هو سلبي، والمساعدة على انتشاره، فعندما تتحدث عن عيب فلان من الناس فإن حديثك عن عيبه يرسخ العيب في أسماع الناس فيتطبعوا به، حتى تسمع عمن يغتابك، كما ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تَغتب فتُغتب**».

ـ التسبب في رد فعل الآخر، فمن يُغتب قد يصله الكلام بشكل أو بآخر، فيسعى للانتقام، أو الدفاع عن نفسه، مما يجعل المجتمع ساحة للصراع والعداوات وانتشار البغضاء.

ـ معصية الله، وحرق الحسنات بالسيئات، والتنازل عن أعمالك الحسنة لغيرك في يوم أنت بأشد

الحاجة إلى تلك الأعمال لتثقل بها ميزان أعمالك، فقد ورد حديث عن رسول الله يقول: «**يؤتى بأحد يوم القيامة، يوقف بين يدي الله، ويُدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته! فيقول: إلهي ليس هذا كتابي فإني لا أرى فيه طاعتي! فيُقال له: إن ربك لا يضِل ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس، ثم يُؤتى بآخر ويُدفع إليه كتابه فيرى فيها طاعات كثيرة فيقول: إلهي ما هذا كتابي فإني ما عملت هذه الطاعات! فيُقال: لان فلاناً اغتابك فدُفعت حسناته إليك**» وهذا ما يهون الأمر عند المستغاب، لأن حقه محفوظ عند الله، ولذلك إذا قيل لشخص أن فلاناً من الناس قال عنك كذا وكذا فإنه إن كان شخصاً عادياً يغضب، ولربما عامل بالمثل، ولكنه إذا كان مؤمناً لا يهتم بالأمر، ولربما صفح عمن أساء إليه.

يتعجب الإنسان من تشديد النصوص الدينية

على مسألة الغيبة، وهنا يدرك اهتمام الشرع بحفظ سمعة الآخرين ومكانتهم المعنوية في المجتمع، ولذلك نجد روايات كثيرة عن النبي وأهل البيت عليهم السلام تنهى عن الغيبة وبكل شدة:

رسول الله صلى الله عليه وآله وفي خطبة الوداع، ونحن نعلم ما لهذه الخطبة من أهمية حيث ركز فيها على القضايا الأساسية التي تهم الأمة، يقول: «**ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا وبلدكم هذا**» والأعراض تعني المكانة المعنوية للأشخاص.

فالغيبة جريمة من بُعدين فهي معصية لله تعالى، وعدوان على شخص ما، وهناك روايات أخرى على هذا الصعيد منها: «**أن الله تعالى قال لموسى: من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار**». وحديث آخر

عن الرسول أنه قال: «**ترك الغيبة أحب إلى الله من عشرة آلاف ركعة تطوعاً**» ويروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «**أبغض الخلائق إلى الله المغتاب**».

إن أمرا خطيرا فيه من التداعيات السلبية الشيء الكثير كان حقا على الاسلام من اجتثاثه والمبالغة في العقوبة على مقترفيه، وهذا يصب في خانة الدين العظيم الـذي يعظم من شـأن الإنسان ويبالغ في تكريم شخصيته المعنوية فضلا عن المادية، فهذه الآفة الخطيرة التي تفتك بصفائح المجتمع المسلم وتجعلها وبمرور الزمن بالية متناثرة، جاء الاسلام وبقوانينه الراقية نافخا فيها نسائمه المنعشة لتكون أكثر نظارة وأجمل من ذي قبل في تصديها لكل الآفات لتكون منيعة قاهرة أمام العواصف الهوجاء وتقلبات الجو المتعاقبة، ومثلما يبتعد الانسان من الجراثيم لئلا

تصيب جسده فإنه يبتعد عن فيروس الغيبة الذي لا يقل خطورة عن جراثيم الجسد إن لم يفقه خطورة وشناعة ودمارا.

فعجبا للبعض أنه يتحرى فيروس المرض ولا يتحرى فيروس الفتك والبغض والشحناء والمنكر والعدوان، يتحرى عادة الأمراض التي تصيب جسمه ليعيش معافا من الناحية المادية، ولا يتحرى أمراض الروح التي تقتلع منه الحب والمروءة والأخلاق الفاضلة وتفتك به أيما فتك من الناحية المعنوية! فالتشديد في العقوبة والتشويق في تركها والابتعاد عنها تؤكد على حقيقة لا مناص من ذكرها وهي أن الإسلام دين يلبي طموحات الجسم والروح معا، فكما أن الجسم محفوظ في دمه ووطنه وماله فهو محفوظ في عرضه ودينه وكرامته، وأقولها بضرس قاطع أن الاسلام النظام الوحيد من بين

الأنظمة والدساتير الذي يدافع عن شخص الانسان وشخصيته ذلك الدفاع المستميت، وإذا ما شاهدنا بعض الانتكاسات في الـدول الإسلامية في هذا الجانب، فإن العيب في المطبق وليس المشرع، والنقص في المسلمين لا في الاسلام، وما داموا لم يرجعوا إلى دينهم القويم وقرآنهم الحكيم فإنهم إلى القهقري أكثر فأكثر، حتى يثيبوا إلى رشدهم ويستلوا مجدهم الغابر وينتفضوا من بين الأنقاض التي أحاطت بهم بما كانوا يكسبون.

كيف تتصرف في مجالس الغيبة

ما هو واجب المؤمن عندما يحضر مجلساً يسمع فيه غيبة للآخرين؟ هناك مجالس ديدنها غيبة الآخرين، كأن شغلهم الشاغل تتبع عثرات الغير، ومع الأسف أنك تجد مثل هذا الأمر في الكثير من الأوساط وذلك بسبب اختلافاتهم في الرأي، أو تضارب مصالحهم،

فيقوم البعض بذكر معايب الآخرين وكأنما غاب عن بالهم أن هذا الأمر من أعظم المحرمات!.

بعض المتدينين يرى في نفسه زهواً لأنه لا يشرب الخمر، ولا يزني، ولا يمارس أياً من الكبائر، وعندما يرى أو يسمع عن غيره أنه ابتلي بمثل هذه المعاصي، يحمد الله أن نجّاه منها، ولكنه يذكر مساوئ الآخرين ويشبعُ غيبة لهم، وما كأن هذا الأمر ليس من الكبائر، وأنه لا يقل عن الذنوب الأخرى، بل كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الغيبة أشد من الزنا**».

لعل الغلظة في توصيف الغيبة في الآيات والأحاديث الشريفة تأتي من أن الله تعالى يغفر للزاني مثلا إذا ما قرر التوبة والندم على ما اقترفه من ذنب قبيح بينه وبين ربه، أما الغيبة فالله تعالى لا يغفر لصاحبها حتى يرضي المستغاب الذي وقع عليه الهتك والخرم والانتقاص، فالغلظة في عقوبة

الغيبة ناتجة عن غلظة المجني عليه الذي ربما لا يغفر لمن قام بنهش لحمه أمام الآخرين وهي مصيبة تنزل على المستغيب لا يمكن تداركها إلا بالتراضي وابراء الذمة من صاحب الحق، بخلاف التجري على الخالق وارتكاب بعض الذنوب كالزنا فأنه وبمجرد التوبة الصادقة فأن الله تعالى يغفر الذنب ويقبل التوبة ويستر على العبد مادامت توبته نابعة من صميم قلبه وما دام هو نادم على ما اقترف من انتهاك صارخ لحدود الشريعة الغراء، فشدة العقوبة في حقوق الناس ناتجة عن قساوة الانسان ربما لضعفه واحتياجه وكثرة ما احتطب من ذنوب على ظهره وكاهله، أما تخفيف العقوبة أو الصفح عنها فيما يتعلق بحقوق الله تعالى ناتجة عن رأفة الله بالعباد وهو الغني عن عباده الذي لا يضره مثقال ذرة لمن عصاه ولا ينفعه مثقال ذرة لمن أطاعه، وإنما مردود المعصية والطاعة ترجع للإنسان

نفسه تبعا لما صدر منه من قول وعمل سلبا وايجابا.

إذا حضرت مجلساً كهذا فما هو واجبك؟ قد تكون منزهاً عن ممارسة الغيبة، ولكنك الآن تعرضت لاستماع الغيبة من الغير، فما يكون موقفك؟

الفقهاء يؤكدون أن استماع الغيبة إثم كقولها، إذا استمعت إلى من يستغيب شخصاً ما، وسكت على ذلك، ولم تدافع عن أخيك المؤمن، كنت شريكاً في هذه الغيبة.

ولذا يتوجب عليك أن ترد الغيبة، وأن لا تقبل بها، البعض يتعذر بالحياء، وهو عذر غير مقبول، إذا دعيت إلى شرب كأس من الخمر، فهل يكون الحياء مبرراً لك لشربه؟ وإذا ما رأيت من يأكل لحم ميت ودعاك لمشاركته، فهل يكون الحياء مبرراً لك لتشاركه، أو تسكت عنه؟

البعض إذا نهيته عن ذكر الآخرين بسوء،

ودفعت الغيبة التي يلهج بها، يقول لك: إن ما أقوله صحيح! وهذا ليس مبرراً للغيبة، فالغيبة ذكر الشخص بما هو فيه، في ظهر الغيب، جاء في الحديث عن رسول الله أنه قال: «**من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة**». وعنه قال: «**إذا وُقع في الرجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصراً وللقوم زاجراً وقم عنهم**» . فلا ترض لنفسك أن تجلس في مجلس الغيبة، لأنه مجلس منكر.

حكى لي بعض الأصدقاء أنه كان قبل أيام في مجلس أحد العلماء الأجلاء، فتحدث أحد الحاضرين عن عالم من العلماء بسوء، فغضب ذلك العالم، ونهره عن مثل هذا الحديث، وقال له: إذا كنت تتحمل عقاب مثل هذا الأمر فأنت حر، لكننا لا نتحمل ذلك، فلا تعد إلى مثل هذا الأمر في مجلسنا، وهذا هو الموقف الصحيح.

قد تبدو غريبا وثقيلا حينما تواجه المغتاب بنصيحة أو عبسة وجه أو اعراض ومقاطعة وتفهيم بأنك منزعج إزاء ما بدر منه من نهش في لحوم الغير، وقد يشاطرون الجلساء مغتابهم الموقف ما داموا على شاكلته حيث يعتبرونه فكاهيا يروّح عنهم مشاغل الدنيا وهمومها، وإنما النهش هذا عادة ما يكون فاكهة لذيذة لمجالسهم وسهراتهم وموائدهم المستديرة التي طالما ألفوها ويألفوها بالضحك والسمر والمخادنة والمجاملة والمداهنة، ولكن الحق أولى أن يتبع، وإن كانت مقدماته مرة فإن نتائجه حلوة، وإذا ما جوبه المعترض بالاشمئزاز وربما الاتهام بالتعقيد، فإن المآل والمفاز له لا محالة لا للمغتاب والمساير له، فالعاقبة تكون لأهل التقوى وليس لأهل الهوى، وسيعلم الجميع أن المعترض على غيبة (سين) من الناس فإنه وبنفس الدافع سيعترض عن غيبتهم في قادم الأيام،

ما سيجعل منه إنسانا مهابا محترما موردا للثقة وموطنا للدعة، بخلاف المغتاب والسماعين له فإنهم وبمرور الزمن تتقاذفهم الأهواء، وتركم بهم الأيام تافهين لا يُستبدلون حتى بقطمير.

كفارة الاغتياب

ان اللسان من نعم الله العظيمة، فإنه صغير حجمه، عظيم طاعته وجُرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا شهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان، زلة واحدة منه تهدم الأمر، تفرق الأحبة، تقطع الأرحام، تُحصد الحسنات، تجلب السيئات، وبكلمة واحدة ربما يهوى صاحبها في النار، قال تعالى: ﴿**يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾.(الكهف: ٤٩).

اللسان يفصح عما يجول داخل الانسان من هواجس وأفكار ورؤى، فإن كانت الأفكار سليمة

راقية متألقة فإن ما يرشح منها من خلال اللسان كلمات حلوة ولا حلاوة العسل، أما إذا كانت الأفكار سقيمة نطيحة مترديه فإن ما يطفح منها من خلال اللسان كلمات لاذعة نتنة مرة ولا مرارة الحنظل، فاللسان هو الناطق الرسمي يعكس شخصية الانسان الايجابية والسلبية، ولا يزال طيب القلب نقي السريرة ربما نفسه منه في تعب والآخرون منه في راحة، لسانه ينثر الورد وتفوح منه اريج المحبة والصدق والاخلاص، أينما حل وارتحل يبقى لسانه لسان خير واصلاح وسعادة، أما خبيث القلب مريض السريرة فإنه وبالعكس تماما من تلك الخصال الحميدة، لعل لسانه يبث سمومه بين الناس فلا يحصدون منه سوى التهتك والاستهزاء والاستعلاء، فإنه كالفايروس يصيب الأفراد والمجتمعات بوبائه الفتاك ويجعلهم كالفراش المبثوث ألما وتفككا

وضياعا.

أنت حينما تخوض في المجالس ربما تنسى حديثك بمجرد إطلاق الكلمة وانتهاء المجلس ولكنه محصى عليك، موقوف أنت حتى يُقتص منك، يُؤخذ من حسناتك لهم فإن فنيت حسناتك أخذ من سيئاتهم فحطت عليك، إن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، يتعلق بك من بهتّه، ويمسك بك من اغتبته، ويقبض على رقبتك من استهزأت به، ولكي تكون في منأى من تداعياتها الخطيرة، فإن كفارة الاغتياب أن يندم الانسان ويتوب ويأسف على فعله، والغيبة ليست مقصورة على اللسان، بل تكون بالقول والكتابة والاشارة والايماء والغمز والحركة وكل ما يفهم به المقصود، وعن الامام الصادق عليه السلام: «**إنك إن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه، وإن لم يبلغه فاستغفر الله له**».

(وإن لم يبلغه) أي لم تصل إلى الانسان الآخر الذي استغبته إما حذرا من وقوع الفتنة ربما لردة فعل عنيفة تصدر من الذي وقعت عليه الغيبة وما يعقبها عادة من إثارة الحقد والعداوة والبغضاء والشحناء، أو قد لا يمكنك أن تصل إليه بسبب موته أو غيابه، هنا يكفي فقط أن تستغفر الله له فإنه أرحم الراحمين يشمل الجميع برحمته الواسعة إذا هم ما قرروا التراحم والتوادد والعفو والمغفرة فيما بينهم.

فالله تعالى وبرحمته الواسعة وجميل لطفه بالعباد قد يتجاوز عن التائب ويغفر خطيئته ويقبل زلته، وهو الذي سبقت رحمته غضبه، يُقبل نحو العبد أميالا إذا ما أقبل العبد نحوه أمتارا، التعدي على حقوق الله تعالى يمكن تداركها بالتوبة والانابة والاستغفار، ولكن الله تعالى لا يقبل من تعدى على حقوق الغير إلا بالتراضي فيما بين العباد، ولا فسحة

أمام الانسان لتدارك الأمر إلا في هذه الدنيا الفانية والزائلة، وكما ورد في الحديث الشريف: «**اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل**» فليبادر المسيء حيال الآخرين بغيبة أو نميمة أو تهمة أو بهتان أن يصفي حساباته معهم في هذه الدنيا قبل فوات الأوان، وقبل مجيء قطار الموت ساحقا كل الأمنيات والتسويفات تحت حوافره، ولات حين مندم، ربما ينتاب المغتاب نوع من الخجل ويتأرجح بين ابراء الذمة من المستغاب من عدمها، وليعلم أن الخجل في الدنيا أهون من الخجل في الآخرة، لإمكانية اصلاح الأمور في الدنيا وعدم امكانية اصلاحها في الآخرة، فالدنيا فرصة فعليك اقتناصها ولا تجعلها غصة.

آخر الكلام...

فالغيبة من العوامل التي تساعد على تفكك المجتمع وتفتك به كما تفتك النار بالحطب، بل هي

من ادهى العوامل في خراب الامة، ونرى في زماننا هذا انتشار الغيبة والنميمة بشكل مخيف يستوي فيهما الكبير والصغير ذكرا كان ام انثى، وتمتلئ بهما مجالسنا ونوادينا ودوائرنا ولا شك ان الغيبة والنميمة من العوامل الاساسية في تدمير العلاقات الاجتماعية، وفي هدم البيوت وفي جفاء الاقارب لبعضهم اذا انتشرت فيهم هاتان الحالتان ولم يقوموا ببترهما والقضاء عليهما فورا.

فكم من اسر تفرقت بسبب الغيبة والنميمة وخاصة نميمة النساء، ويجب ان نعلم ان الغيبة والنميمة من كبائر الذنوب، ومن الامور التي يري عقابهما في الدنيا قبل عذاب الاخرة، والغيبة من اقبح القبائح واكثرها انتشارا في الناس ولم يسلم منها الا القليل من الناس، لذا يجب علينا جميعا ان نحارب هذه الظاهرة، وان لا يتكلم الانسان الا بما تظهر فيه

المصلحة وبما هو مباح، وان يفكر قبل ان تخرج منه كلمة قد يكون فيها ضرر عليه سواء في معاشه او مماته.

إن علاج الغيبة يكمن في أمرين، تجنب العاقبة الوخيمة والعمل، أما التجنب يكمن في أن يفكر الإنسان في الآثار الخطيرة الناجمة عن هذه الكبيرة ويفكر في عملية مضاعفة السيئات ومحو الحسنات ويعرضها على العقل فيختار ما فيه صلاح ومنفعة له، أما من ناحية العمل فيجب على الفرد أن يروض نفسه بكفها عن هذه المعصية ولجم اللسان والمراقبة الدائمة للنفس ومعاهدتها بعدم اقتراف هذه الخطيئة، وبعد فترة يجد نفسه تنفر منها وتنزجر عنها بحسب طبيعته وما يروض بها نفسه من عمل، ومن ناحية أخرى فالعاقل هو من يفكر وينشغل بعيوبه عن عيوب الآخرين فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «**طوبى لمن شغله**

عيبه عن عيوب الآخرين».

وقال الشاعر:

وعينك إن أبدت إليك معايبا
فقل يا عين للناس أعين
لسانك لا تذكر به عورة امرء
فكلك عورات وللناس ألسن

إن من أراد أن يطهر نفسه أولا وصحيفته ثانيا فلا بد من أن يراقب لسانه، لأنه كما قال المصطفى صلى الله عليه وآله: «**وهل يكب الناس على وجوههم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم**» ذوو الألباب والذين يرجون لقاء الله تعالى مدعوون إلى أن يتبصروا في عقوبة هذا الذنب ونتائجه الوخيمة التي يتركها على الفرد والمجتمع.

المحتويات

كلمة لابد منها	٣
ماذا تعرف عن الغيبة والبهتان والنميمة	٧
التحذير من الغيبة والبهتان والنميمة	١٠
فلسفة تحريم الغيبة والبهتان والنميمة	١٩
بواعث الغيبة ونتائجها وعلاجها وموارد الاستثناء	٢٤
استماع الغيبة والغيبة الخفية	٢٨
الغيبة وآثارها على المجتمع	٣٦
الآثار السيئة للغيبة	٤٣
كيف تتصرف في مجالس الغيبة	٤٩
كفارة الاغتياب	٥٥
آخر الكلام...	٥٩